

مُقَدِّمَةٌ

«عبد الحميد بن باديس وأراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق» هو موضوع رسالة الماجستير التي نوقشت في صيف عام ١٩٨٢م بكلية الآداب - جامعة القاهرة . قسم الفلسفة .

وكانت لجنة المناقشة والتحكيم برئاسة الأستاذ الدكتور يحيى هويدي وعضوية كل من : الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي ، والأستاذة الدكتورة نازلي إسماعيل حسين .

وقد أجزيت الرسالة بعد المناقشة العلنية التي استغرقت حوالي ست ساعات بتقدير جيد جدا .

* وقد ترددت كثيرا قبل طبع هذه الرسالة في كتاب وذلك لعدة أسباب أهمها تلك الملاحظات الموضوعية التي أشار إليها أستاذنا الدكتور عاطف العراقي أثناء المناقشة ، وكذلك بسبب حجم الرسالة الكبير إلى حد ما، وتشعب موضوعاتها وكثرة المقارنات العديدة التي حوتها الرسالة بين الإمام عبد الحميد بن باديس والعديد من المفكرين والفلاسفة القدامى والمعاصرين .

* وبرغم أهمية الفكر التنويري لابن باديس وحاجة المجتمع العربي إليه في يومنا هذا فقد ظل التردد يمنعني من الإقدام على طبع هذه الرسالة . ولكن بفضل تشجيع أساتذتي وتوجيهاتهم ، وبعض الخبرات التي اكتسبتها في مجال التأليف والنشر، بالإضافة إلى المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تسيطر على ساحة الفكر العربي الآن والتوجهات الفكرية المتصارعة ... لهذا وجدت لزاما على أن أقدم للقارئ العربي فكر الإمام عبد الحميد بن باديس في إطار فلسفي ومنهجي، وكمصلح ومفكر ورائد من رواد حركة التنوير العربي المعاصرة والتي

بدأها محمد عبده والأفغانى والكواكىبى ورشيد رضا ومن تأثر بمنهجهم أمثال طه حسين وزكى نجيب محمود وغيرهم .

ويأتى فى هذا الإطار تأكيد الدكتور هويدى على أن ابن باديس كان فى مقدمة التنويريين العرب، وكان من أخلص تلاميذ الإمام محمد عبده تمسكا بالعقل واهتماما بالعلم ونشره ..

* ولا شك أن دراسات ومقالات عديدة تناولت آراء ابن باديس من الناحية السياسية أو من الناحية الدينية والعقائدية وأبرزت دوره الريادى فى حركة الإصلاح الدينى، أما هذا البحث فلعله فى مقدمة البحوث التى عالجت الجانب الفلسفى والمنهجى فى تفكير الإمام ابن باديس، محاولاً الإجابة على العديد من التساؤلات التى أثارها الباحثون فى الفكر الباديسى . منها :

١- هل استطاع ابن باديس بالفعل أن يقدم فلسفة قرآنية خالصة ذات ملامح محددة ومتميزة ؟ وما مدى اتفاق أو اختلاف هذه الفلسفة عن ما قدمه فلاسفة الإسلام الأوائل وخاصة الفقهاء وعلماء الكلام .

٢- هل كانت محاولة ابن باديس قاصرة على تقديم آراء تربوية وأخلاقية مستمدة من القرآن والحديث وآراء السلف ليكون لها الأثر المباشر والسريع فى إحداث الرعى وبناء المجتمع وتطوره ؟ أم أن دوره وفكره قد تخطى محدودية المكان والزمان ..

٣- ما هو الأسلوب الذى نهجه ابن باديس فى معالجة القضايا الفكرية والأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية التى كان يمر بها المجتمع العربى والجزائرى آنذاك .. تطبيقاً لآرائه وتحقيقاً لأهدافه ؟

* وهنا لاحظت مدى نجاح منهجه الإصلاحى القائم على التمسك بالقرآن والسنة ومنهج السلف والاعتماد على النفس فكراً وسلوكاً كإطار ومصدر للفكر الإسلامى القابل للتطبيق ..

كما لاحظت أن الممارسة العملية للمنهج الباديسى المعتمد على الطريقة الاستقرائية الموضوعية القائمة على تتبع وتحليل وفهم قضايا المجتمع والتزامه بالأسلوب العلمى فى دراسة الأفكار والعادات والنظم وأطوار الأمم وعوامل قيامها وهدمها كان له الأثر الفعال فى إحداث الوعى الاجتماعى المطلوب سواء فى المجتمع العربى عموماً والمجتمع الجزائرى على وجه الخصوص .

* وفى هذا الإطار أيضاً لاحظت مدى نجاح ابن باديس فى تحقيق نتائج ملموسة فى مجال السلوك العلمى والخلقى للأفراد وفى مجال إصلاح اللغة والتعليم والتخلص من التبعية للأجنىبى والقضاء على عوامل التخلف كالجهد والاندماج والطريقة وغيرها ..

* إن التزام ابن باديس فى تفسيره بالمنهج السلفى المتثور ، وبالأسلوب العلمى فى دراسة الأفكار والعادات والنظم الاجتماعىة السائدة وأطوار الأمم يعكس مدى اهتمامه بالإنسان وبنائه بإصلاح نفسه وقواه العاملة ، إلى جانب اهتمامه بقضايا الألوهية والربوبية والوحدانية .

وهكذا جمع ابن باديس فى فلسفته بين الجانب النظرى المعرفى والجانب العلمى التطبيقى فكانت فلسفته نظرية فى جانبها العلمى والمعرفى تطبيقية فى جانبها الاجتماعى والسياسى .

واعترافاً بفضل ابن باديس وريادته ودوره التنويرى والإصلاحى فى عالمنا العربى أقدم هذا البحث للقارئ العربى حتى يتواءم مع تلك المتغيرات الفكرية والاحتياجات العقلية للإنسان العربى الذى أورشك أن يفقد هويته وأصالته وحضارته.

والله الموفق والمعين

د. عبد الحميد درويش عبد الحميد

بهتيم فى : ٢١ أكتوبر ١٩٩٤م

١٦ جمادى الأولى ١٤١٥هـ